السلوك الجمعي في المجتمع العراقي (36هـ-656م.....132هـ....750م) وتداعيات الخطاب السياسي عبر التاريخ

أ.م.د.علي فرعون علوان/ كلية التربية الاساسية / جامعة واسط

الملخص

السلوك الجمعي في المجتمع العراقي تعرض إلى ما يمكن تسميته بالمؤامرة ،إذ تعامل الأمويون مع ذلك المجتمع بحذر وحقد في آن واحد، تمخض عن إلصاق بعض التهم به لغرض تسقيطه سياسيا واجتماعيا ،كونه يمثل الجهة المعارضة للسلطة الأموية، والبيئية الحاضنة للحركات المعارضة وهي كثرة بدأت من ثورة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) وصولا إلى ثورة زيد بن علي مرورا بحركات مصعب بن الزبير والمختار الثقفي وثورة عبد الرحمن بن الأشعث وغيرها، وكلها كانت البيئة العراقية هي الحاضنة لها . ومن هنا تم أشاعه مثلب يقلل من شان السلوك الجمعي العراقي، والمثلب هو مقولة (يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق) هذه المقولة حاول الأمويون أن ينسبوها إلى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، والكل يعرف قيمة وأهمية الإمام علي كونه احد رجالات الإسلام العظام وبهذه المقولة أراد الأمويون إيصال رسالة مفادها أن أهل العراق هم أهل شقاق ونفاق والكلام للإمام علي بن أبي طالب، وهذا يعني أن الكلام يحمل من المصداقية والدقة الشيء الكثير، إن لم يكن كله مصداقية على الإطلاق، في هذا البحث تم مراجعة مصادر التاريخ والوقوف على المقولة أعلاه، ومن قالها، وقد تبين أن المقولة هي من بنات أفكار الوالي، الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق الذي عينه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بعد تمكن الأول من السيطرة على تمرد عبدا لله بن الزبير في مكة عام 73هـ، فكافاه وعينه واليا على العراق، وأطلق يديه بالتعامل مع العراقيين بالطريقة التي يراها ملائمة، وهكذا بدأت خطبته الأولى مع العراقيين ، وهو يتسلم منصبه السياسي الجديد مخاطبا العراقيين في الكوفة بقوله (يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق) وبذلك أصبحت المقولة أعلاه مدوية ومؤثرة أضاف لها الأمويون طعما آخر حين نسبوها فيما بعد للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كي تأخذ صداها بين الناس بشكل عام للتقليل من الشأن العراقي المعارض للأمويين، والأسباب دائما سياسية .

المقدمة

كانت أرض العراق محط أنظار سكان شبه الجزيرة العربية منذ أمد بعيد لما تحمله من صفات وخصائص تدخل في الجانب الحياتي والمعاشي للفرد والجماعات على حد سواء من ناحية ،ولما تمثله هذه البقعة من دور حضاري مميز من ناحية ثانية، وبعد الأسلام تم فتح العراق بشكل نهائي بعد معارك شرسة مع الأمبراطورية الفارسية التي كانت حينها تسيطر عليه وذلك عام 15هجرية 636م، أثناء خلافة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) ،وتم بناء البصرة والكوفة كمصرين مهمين من أمصار الدولة الأسلامية، بعد ذلك حدثت على أرض العراق أهم الأحداث الأسلامية في المجالات العسكرية والسياسية والأقصادية ، تركت أثرها على علاقة أهل العراق بمركز القرار السياسي خاصة في دمشق بعد تأسيس الدولة الأموية عام 41هـ / 661م ،هذا الأمر جعل الأمويين يتعاملون مع العراقيين بطريقة لا تخلو من القسوة والظلم مما جعل العراقيين أو بالأصح سكان المصرين أعلاه أن يتجهوا إلى الجانب المعرفي فنهضوا بالعلوم العقلية والنقلية على حد سواء فأجادوا وأفادوا، فضلا عن كونهم أسسوا معارضة فكرية وسياسية للأمويين، مما حدا بالطبقة السياسية في الشام انذاك البحث عن مثالب للعراقيين، الغرض منها التقليل من شأنهم وأبعادهم عن التفكير بالصعود الى الأمام والدفع

باتجاه تسلم السلطات السياسية وإبعاد الأموين عنها ،ومع شدة الظلم وقساوة الفعل ،الا أن الرياح لم تكن كما تشتهي سفن الأمويين ،فقد كان لأهل العراق دور بالالتفاف حول العباسيين الذين أسقطوا الدولة الأموية ليأسسوا مكانها دولة لهم في العراق وكان ذلك عام 132هـ /750م

كل ذلك ترك أثرا كبيرا في سفر الحياة في العراق، فنعتهم من نعتهم بالنفاق والشقاق... الخ من الصفات سنتوقف للحديث عنها وتفنيدها لأهميتها في التأثير بالخطاب السياسي الموجه ضد السلوك الجمعي العراقي عبر التاريخ أولا ولكونها نسبت من قبل الأمويين وأعوانهم، إلى شخص الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الغرض من ذلك لصق هذه الخصائص السلبية بهم كونها صادرة عن رجل خبير وإمام عظيم كي لا تمحى من ذاكرة الناس بعد ذلك.

البدايات

أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ، هكذا يحلو للبعض أن يصفوا أبناء بلاد ما بين النهرين ، وهذا ما درج على تدوينه البعض أيضاً من كتّاب التاريخ لغايةٍ في نفس يعقوب ، فما أصل هذا القول ؟ ومن الذي قاله ؟ وما هي الظروف التي ساعدت على أن يصبح هذا القول شائعاً بين الناس ؟ وهل العراقيون حقاً هم أهل شقاق ونفاق ؟ أم على العكس من ذلك شعبٌ طيّبٌ خلاّق ؟ ، ولأجل الوقوف على حقيقة الأمر لا بد من العودة إلى أصل الحكاية ...

فهناك من ينسب القول أعلاه إلى الخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) خلال مدة خلافته، إذ اتخذ الإمام من الكوفة مقراً له ومركزاً لتحركاته العسكرية والسياسة ، ونتيجة للظروف الصعبة التي مرت بها خلافة الإمام والمعارك الثلاث الرئيسة التي امتدت طول مدة حكمه برزت على السطح بعض السلوكيات غير الصحيحة من قبل جيش الإمام بالشكل الذي استاء منه، وعلى أساسه تعرَّض في بعض من خطبه واصفاً العراقيين بالشقاق والنفاق لعدم وقوفهم معه بجدية. وهذا القول في تقديري المتواضع ليس صحيحاً أبداً فخلاف الإمام السياسي لم يكن مع العراقيين أبداً ، بل كان مع جهات أخرى، فأول ظهور له كان مع زعماء المدينة الكبار وهم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام ومروان بن الحكم، هذا إذا أضفنا لهم السيدة عائشة أم المؤمنين (رض) وهؤلاء جميعاً ليسوا من العراقيين، ثم أن هناك خلافاً سياسياً ظهر على السطح بعد خلافة الإمام أيضاً وكان مع معاوية بن أبي سفيان والي الشام والذي تمرد على السلطة المركزية بعدم التزامه بقرار الخليفة بعزله عن منصبه مما أدى إلى نشوب معركة صفّين فيما بعد (1).

أما الخلاف العسكري والذي هو تحصيل حاصل للخلاف السياسي وواحداً من أهم تداعياته على مستوى الميدان فيما بعد ، فقد نشب بين الإمام وجيشه من جهة ، وبين كل من :

أ. زعماء المدينة الكبار أعلاه مع مؤيديهم من أهل الحجاز واليمن والبصرة في معركة الجمل سنة 36 هـ /656 م(2)

ب. معاوية بن أبي سفيان وقواده في الشام وعلى رأسهم عمرو بن العاص ، في معركة صفين سنة 37 هـ /657 م.

ج. مع الخوارج الذين كانوا مع الإمام ثم تمردوا عليه بعد قبوله بالتحكيم مما أدى إلى قيام معركة النهروان سنة 38 هـ /658م.

وهؤلاء الزعماء كما أسلفت جميعهم من غير العراقيين. هذا إذا ما أضفنا لهم قائداً عسكرياً كبيراً من جيشه تمرد عليه ووقف ضده ، وهو الأشعث بن قيس ، وهذا لم يكن عراقياً كذلك ، بل من قبيلة كنده المعروفة في الحجاز .

إذاً هؤلاء هم الجهات الأكثر بروزاً على الساحة السياسية والتي وقفت بالضد من الإمام لأسباب يطول شرحها، أما العراقيون في تلك الفترة فقد كانوا أما جنوداً في جيش الإمام وحركاتهم وتصرفاتهم لم تكن سوى استجابات فقط لإرادات الحلقات العليا التي كانت تؤثر في مجرى الأحداث، وأما قادة

أخلصوا له كل الإخلاص وكان على رأسهم على سبيل المثال لا الحصر، المقاتل مالك بن الحارث الأشتر، وحجر بن عدي، وصعصعة بن صوحان، واغلبهم اصولهم من الحجاز، حيث سكنوا العراق بعد فتحه كما اشرنا منتصف العقد الثاني الهجري

العراق في العصر الراشدي.

بدأ تحرير العراق كجزء من عمليات الفتح الاسلامي التي باشر بها المسلمون بعد وفاة الرسول الكريم(صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) وذلك زمن خلافة الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رض) وكان لبني شيبان دور كبير في ذلك حين اكتشفوا مدى الضعف الذي تعاني منه الإمبراطورية الساسانية حين انتصروا عليهم في معركة ذي قار عام 610م اي قبل الهجرة النبوية بعشرة اعوام تقريبا وكان من جملة زعماء بني شيبان هو المثنى بن حارثة الشيباني الذي بلغ ابو بكر الصديق خبره فسال عنه اثناء حروب الردة كما يقول البلاذري فقيل له ان هذا الرجل غير خامل ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد انه المثنى بن حارثة الشيباني (3) فكلفه الخليفة ابو بكر الصديق(رض) بالبدء بتحرير العراق وذلك عام 13 هـ/ 634 م، بدأت المعارك من ذات السلاسل سنة 13هـ /634م إلى معركة الجسر التي خسرها المسلمون الى معركة البويب ومعارك صغيرة اخرى ، وكانت اخرها معركة القادسية عام 15 هـ / 636م، وعلى أثرها تم فتح العراق كاملا وتعيين سعد بن ابي وقاص عاملا على الكوفة (4) وعتبة بن غزوان على البصرة(5) ثم توفي الخليفة عمر وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى البصرة ابو موسى الاشعري(6) وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان(رض) تم تبديل المغيرة بن شعبة بسعد بن ابي وقاص الذي ظل عاما في منصبه ليبدله بالوليد بن عقبة بن ابي معيط، يعلق طه حسين على تولية بن ابي معيط للكوفة وتأثيرها النفسي على الناس هناك فيقول" أن عثمان حين عزل سعدا لم يول على الكوفة أحدا من كبار أصحاب النبي لأمن المهاجرين ولا من الأنصار، لم يرسل أليها طلحة ولا الزبير ولا عبد الرحمن ولا محمد بن مسلمة ولا أبا طلحة، وأنما أرسل أليها الوليد بن عقبة بن أبي معيط . ولم يكن المسلمون يطمئنون الى الوليد بن عقبة لأنه غش النبي وكذّب عليه وكفر بعد اسلام، وأنزل الله فيه قرآنا فقال: (يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات / الآية 6 ،كان ذلك حين أرسله النبي مصدقًا في بني المصطلق، فعاد الى النبي يزعم أنهم منعوه الصدقة فخرج النبي أليهم غازيا، ثم تبين كيد الوليد وأنبأه الله بجلية الأمر. وقد عاد الوليد الى أسلامه حين لم يكن بد من العودة الى الأسلام وأصلح من سيرته ما أستطاع ،وقيل أن عمر قد أستعمله على صدقة بني تغلب في الجزيرة والفرق بين أن يرسله عمر أو وال من ولاة عمر الى صدقة حي من نصارى العرب البادين في الجزيرة وبين أن يوليه عثمان مصرا من أعظم أمصار المسلمين وأكثرها ثغورا وأن يوليه مكان سعد بن أبي وقاص هذا الفرق عظيم جدا"(7) وهنا أراد طه حسين ان يبين مقدار الخطأ الميداني الذي نتج عن تولية بن أبي معيط - وهو من الشخصيات الاسلامية المنبوذة والتي اشار القران الى فسوقها- الكوفة وهي من اهم الامصار الاسلامية واكثرها التصاقا بالامبراطورية الساسانية التي ما زال القضاء عليها في تلك المدة لم يمض عليه سوى سنوات قلائل اي ان الخطر الساساني مازال قائما ، فضلا عن ذلك فان الكوفة لم تكن لتتلاءم مع شخصية كشخصية الوليد الذي لم يكن ملتزما دينيا اذ ورد في بعض الروايات انه كان يحتسي الخمر(8) مما جعل الكوفيين ينبذونه وقد شكوه اكثر من مرة الى الخليفة في الحجاز فقرر ان يستبدله بأموي اخر هو سعيد بن العاص (9) ثم حدثت الفتنة التي راح ضحيتها الخليفة نفسه، واسبابها عديدة ومتنوعة وأهمها ما يتعلق بظلم الولاة والحالة الاقتصادية المتردية التي كان سببها توزيع العطاء على التفضيل الذي حدث زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) واستمر طيلة خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان(رض) ولم يتم إلغاؤه إلا في زمن الخليفة الرابع

الامام علي بن أبي طالب(عليه السلام) الذي قرر توزيع العطاء بالتساوي فضلا عن إعادته لاراضي الصوافي التي هي بالأساس ملك الدولة لكن تم الإستيلاء عليها من قبل الذوات الحاكمة زمن خلافة الخليفة عثمان بن عفان(10)

في حوار جرى بين الامام علي بن أبي طالب(عليه السلام) وعبد الله بن عباس (رض) في المدينة المنورة ليلة اختيار الامام خليفة للمسلمين، إقترح عبد الله بن عباس على الإمام أن يولِ كلا من الزبير بن العوام و طلحة بن عبيد الله كلٌ من الكوفة والبصرة لرغبتهما في الولاية، حيث قال" فول البصرة الزبير، وولّ طلحة الكوفة فأنهما ليسا بأقرب اليك من الوليد وابن عامر من عثمان، فضحك الامام ثم قال، ويحك أن العراقيين*بهما الرجال والأموال ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ويضربا الضعيف بالبلاء، ويقويا على القوي بالسلطان"(11) ثم قال بخصوص رؤيته للولاة "ولو كنت مستعملا أحدا لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام"(12)

وعليه فالأمام هنا عارف بقيمة العراق واهميته كونه بلد المال والرجال وعملية الذهاب اليه واعتماده مركزا لسلطاته السياسية لم يأتي اعتباطا فقد جاء للاسباب التي نوه عنها الامام اعلاه هذه ناحية ، أما الناحية الأخرى فأن أكثر خطابات الإمام السياسية كان يخاطب فيها أهل البصرة في معركة الجمل ، وأهل الكوفة ، ولم يتعامل معهم بالشمولية ولم يعمم كلامه بإطلاق كلمة أهل العراق ، كونه سيد العارفين بآيات الذكر الحكيم ، فهو مع القرآن في كل تفاصيله ، والآية الكريمة التي تقول (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (13) هي أقرب إليه من غيره ، فشخص عظيم كالإمام علي إذا أراد أن يخاطب جهة معنية يشخصها بالذات ولا يشرك معها آخرين بعيدين عن الحدث لحظة وقوعه ، كأن يقول يا أهل البصرة أو يا أهل الكوفة. وهما المصران الأساسيان في العراق واللذين تم إنشاؤهما حديثاً.... وذلك قبل الأحداث التي وقعت مع الإمام بعشرين عام تقريبا. يتحدث الدينوري في كتابه الاخبار الطوال عن معركة الجمل وحجم خسائرها وكيف ان الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) جهز السيدة عائشة (رض) واعادها الى المدينة صحبة اخيها محمد بن ابي بكر بعد ان انتصر في المعركة انتصارا كبيرا، وبعدها دخل البصرة وخاطب اهلها وهو منزعج من وقوفهم الى جانب أصحاب الجمل، حيث وبخهم بقوله" أما بعد، فان الله ذو رحمة واسعة وعقاب اليم، فما ظنكم بي يا أهل البصرة جند المرأة وأتباع البهيمة؟ رغا فقاتلتم وعُقر، فانهزمتم،"(14) والامام هنا يحاكي الجند الذين وقفو امامه محاربين جيشه منتظمين مع اصحاب الجمل دون معرفة بالامور صالحها من طالحها ولم يقصد اهل البصرة بشكل عام ، وقد ايد الخطبة ابن ابي الحديد في نهج البلاغة(15) ومن ناحية ثانية فان الدينوري نفسه ينقل خطبة اخرى للامام عليه السلام وهو يدخل الكوفة بعد معركة الجمل فيقول ثم سار الامام علي بن أبي طالب بجيشه تاركا البصرة ، فلما أشرف على الكوفة قال : "ويحك يا كوفان ما أطيب هواءك وأغنى تربتك الخارج منك بذنب، والداخل اليك برحمة، لا تذهب الأيام والليالي، حتى يجئ اليك كل مؤمن، ويبغض المقام بك كل فاجر وتعمّرين حتى أن الرجل من أهلك ليبكر الى الجمعة فلا يلحقها من بعد المسافة"(16) وكلام الامام هنا دلالته واضحه وهو تعبير خالص عن نظرة الامام علي (عليه السلام)لأهمية الأرض والإنسان هنا في الكوفة أما ما يتعلق بالجيش وحركاته فالأمر يختلف كونه تحصيل حاصل لحالة الشد والجذب التي سادت في معركة صفين وتأثير حماقة المتشددين الذين ذهبوا وراء الاعيب أهل الشام من خلال دعوتهم للتحكيم ورفعهم المصاحف وتأثير ذلك كله على نفسية من لم تعجبه تلك الآراء ،التي أيدت وبقوة وقف القتال، وهؤلاء كلهم كانو في أرائهم وسلوكياتهم مع الإمام إلا أن كفة المنادين بوقف الحرب كانت أقوى ثم الرافضين الذين انسحبوا من جيش الإمام وشكلوا تجمعا خاصا بهم وهم الخوارج ايضا كانت كفتهم قوية ومهمة من خلال سوء أفعالهم التي أدت إلى أن يحاربهم الامام ويغير مجرى سيره من صفين الى

النهروان بالشكل الذي ادى الى زحمة الفعل العسكري لجيش العراق قياسا بجيش أهل الشام الذين كانوا موحدين وواجبهم محدد وهو محاربة جيش أهل العراق فقط ،هذا الأمر جعل من جيش العراق يتلكأ من معاودة الحرب ضد أهل الشام بعد محاربته للخوارج والقضاء عليهم تماما،(17) فقد قال الاشعث بن قيس وهو أحد كبار القادة عندما طلب الإمام منهم أن يتوجهوا إلى مقاتلة أهل الشام" يا أمير المؤمنين لقد كلت سيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا، فدعنا نستعد بأحسن عدّتنا"(18) اما الذي حصل فهو لم يكن استعدادا للمرحلة القادمة بل كان للاسف هروبا، اذ تسلل الجيش واخذ يلتحق بأوطانه تاركين المكان بطريقة غير نظامية مما أزعج الإمام عليه السلام الذي رأى أن المباشرة بمقاتلة جيش أهل الشام هو الطريق الافضل لتحقيق النصر، فكتب كتابا ودفعه الى رجل من جيشه وأمره أن يقرأه على الجيش يوم الجمعة عندما يفرغون من الصلاة وقد جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم ،من عبد الله علي أمير المؤمنين الى جيشه من أهل الكوفة سلام عليكم: أما بعد فأن الجهاد باب من أبواب الجنة، من تركه ألبسه الله الذلة وشمله بالصغار وسيم الخسف وسيل الضيم ،وأني قد دعوتكم الى جهاد هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وجهارا، وقلت لكم، أغزوهم قبل أن يغزوكم، فما غُزِيَ قوم في عقر دارهم إلا ذلّوا وأجترأ عليهم عدَوهم، هذا أخو بني عامر قد ورد الأنبار، وقتل إبن حسان البكري وأزال مسالحكم عن مواضعها، وقتل منكم رجالا صالحين وقد بلغني أنهم كانوا يدخلون بيت المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينزع حجلها من رجلها وقلائدها من عنقها وقد انصرفوا موفورين ،ما كلم رجلا منهم كلاما ،فلو أن أحدا مات من هذا أسفا ما كان عندي ملوما، بل كان جديرا، ياعجبا من أمر يميت القلوب، ويجتلب الهمَ ويسعّر الأحزان من أجتماع القوم على باطلهم ،وتفرقكم عن حقكم فبُعدا لكم وسحقا، قد صرتم غرضا، تُرمون ولا ترمون، ويغار عليكم ولا تُغيرون، ويُعصى الله فترضون، أذا قلتُ لكم سيروا في الشتاء قلتم كيف نغزوا في هذا القُر والصّر، وأن قلت لكم سيروا في الصيف قلتم حتى ينصرم عنا حمارَة القيظ، وكل هذا فرار من الموت، فأذا كنتم من الحر والقُر تفرون فأنتم والله من السيف أفر، والذي نفسي بيده، ما من ذلك تهربون، ولكن من السيف تحيدون، يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا أحلام الأطفال وعقول ربات الحجال، أما والله لوددت أن الله أخرجني من بين أظهركم وقبضني الى رحمته من بينكم وددت أن لم أركم ولم أعرفكم، فقد والله ملأتم صدري غيضا " (19) يقول الدينوري" فقام إليه الناس من كل ناحية فقالوا (سر بنا فو الله لا يتخلَّف عنك إلا ضنين) (20) وهذا اعتراف من أهل الكوفة بتقصيرهم الميداني اتجاه محاربتهم لأهل الشام وعدم الالتزام بعهودهم مع الامام علي (عليه السلام)، اما الخطبة فهي تعبير فعلي من قبل الإمام عن التقصير الميداني غير المبرر لجيش أهل العراق الذي تهاون بمحاربة أهل الشام وانعكاسات ذلك كله على نتيجة الحرب بين الطرفين فضلا عن ذلك فان الإمام هنا لم يستخدم مفردة أهل العراق ولم ينعتهم بالشقاق والنفاق على الرغم من شدة تعابيره التي جاءت بسبب الم الخسارة التي منوا بها من خلال تهاونهم وعدم التزامهم بتوجيهات الإمام ،فلو كان هناك التزام فعلي بتعليمات الإمام وهو الرجل الكفء والقائد الشجاع المقتدر لكانت النتائج أفضل وأحسن وأعمق، ومردودها الإيجابي سيكون لصالح الإسلام والمسلمين، إلا إن لله تعالى حكمه في ذلك

العراق في العصر الأموي

بعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) واستلام نجله البكر الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) الخلافة وبعد الصلح الذي حدث مع معاوية الذي أطلق عليه تاريخيا بصلح الإمام الحسن، تسلم معاوية بن أبي سفيان رسميا خلافة المسلمين وقام بتأسيس الدولة الأموية ، وذلك عام 41هـ / 661 م والتي استمرت إلى عام 132هـ / 750م حيث سقطت رسميا على يد العباسيين .

عيّن معاوية بن أبي سفيان أول خليفة أموي، زياد بن أبيه والياً على البصرة والذي استخدم سياسة الترغيب والترهيب إلى أقصاها بتعامله مع المجتمع البصري الذي أخذه بالشبهات كما جاء في خطبته الأولى بعد توليه المسؤولية والتي نقلها إلينا الجاحظ حيث جاء فيها من ضمن ما قاله (إني أقسم بالله لأخذن الولي بالولي ، والمقيم بالضاعن والمقبل بالمدبر ، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول أنجِ سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لي قناتكم)(21) . وتنقل لنا كتب التاريخ صوراً بشعة من طغيان زياد بن أبيه وجبروته واستخدامه القوة والعنف والدكتاتورية المقيتة مع البصريين ، ثم بعدهم الكوفيين حتى هلك سنة 53 هـ (22)

ولكنه مع كل هذا لم يتطرق في خطبه وأقواله إلى ذكر مثالب أهل البصرة والكوفة كأن يقول لهم العبارة التي وردت في أول البحث ،وهذا دليل على أن هذا القول لم يكن قد قيل بعد ولم ينطق به أحد ، فلو كان الإمام قد نطق به مثلاً ، لأعاده ابن أبيه ثانية أو لذكّر به أهل العراق باعتباره قولا صادرا عن خليفة وقائد كبير ذي معرفة واسعة وميدانية بأهل العراق ولاستفاد منه ابن أبيه ولأعتبره مبرراً قوياً لسطوته على العراقيين .

وفي سنة 53 هـ كما أسلفنا توفي زياد بن أبيه في الكوفة(23) بعد أن ترك أثراً سلبياً بتعامله مع المجتمعين البصري والكوفي ، حيث أن سياسته تلك رغم خشونتها لم تصنع من المجتمع العراقي قوة للدفاع عن الدولة الأموية أو الوقوف على الأقل دون معارضته ، بل على العكس من ذلك قد أشعلت نيران الفتنة الداخلية حيث نظر العراقيون لأهل الشام باعتبارهم مركز السلطان آنذاك نظرة اشمئزاز وعدم تقدير، وهذا ما جعل معاوية يغير من سياسته تجاههم بعد أن تيقن بأن العنف لا يصلح مع العراقيين حتى لو جاء بنتائج إيجابية سريعة ، إذ أن هذه النتائج ستتحول إلى وبال على الدولة فيما بعد وهو ذلك الداهية المعروف بدبلوماسيته وحنكته السياسية ، وهذا ما دفعه بأن ينصح ابنه الذي سلمه مقاليد الحكم بعده على أن يتعامل مع العراقيين تعاملاً خاصاً .

يقول ابن الأثير" لما مرض معاوية مرضه الذي مات فيه دعا ابنه يزيد ، فقال يا بني إني قد كفيتك الشد والترحال ووطأت لك الأمور وذللت لك الأعداء ، وأخضعت لك رقاب العرب ، وجمعت لك مالم يجمعه أحد ، فانظر أهل الحجاز فأنهم أصلك ، والزم من قدِم عليك منهم ، وتعاهد من غاب ، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل فإن عزل عامل أيسر من أن يُشهر عليك مائة ألف سيف"(24)، فمعاوية في هذه الرواية شخّص بشكل دقيق بعض من صفات الشخصية العراقية وعوامل بنائها النفسي كونها شخصية تواقة للزعامة والقيادة استثمرت ذلك من قدرتها وطاقتها الكامنة كونها شخصية ذات سبق تاريخي ودور قيادي كبير في المنطقة .

لذا نصح ابنه باتباع طرق التعامل الديمقراطي عساه أن يستطيع تحقيق حالة من التآلف بين أبناء العراق والأمويين الذي عجز زياد بن أبيه رغم قسوته من تحقيقها . لكن يزيد بغبائه وعنجهيته لم يلتزم بتلك النصائح جميعها .

وبعد وفاة معاوية واستلام يزيد السلطات ، حدث منعطف كبير بالعلاقة بين الأمويين وأهل العراق ، حيث جرت على الساحة العراقية أكثر الأحداث السياسية سخونة وأهمية في تلك المرحلة العصيبة تمثلت بثورة الإمام الحسين عليه السلام (25)، أعقبتها ثورة التوابين ، ثم ثورة المختار الثقفي ضد الأمويين حتى انتهى هذا المسلسل الدامي بسيطرة عبد الملك بن مروان على العراق ، وهنا ولغرض توضيح الصورة اكثر لا بد من الوقوف عند ملابسات ثورة الإمام الحسين عليه السلام فإن هناك من يعتقد بأن أهل العراق أو العراقيين راسلوا الإمام وطلبوا منه المجيء إلى الكوفة ، ثم نكثوا عهدهم معه ووقفوا ضده مع جيش السلطة الاموية ممثلا بجيش عبيد الله بن زياد ، وهذا القول أيضاً ليس صحيحاً ، فالذين راسلوا الإمام عليه السلام هم مجموعة كبيرة من صحابة الرسول وصحابة

الإمام علي ،من الذين جاؤوا إلى الكوفة مع الإمام وهم من اصل يمني وحجازي ، وهؤلاء أغلبهم حجزهم عبيد الله بن زياد قبل مجيء الإمام الحسين ليضمن عدم مساعدتهم له وقسم منهم استطاع الهرب من الطوق الذي فرضه عليهم بن زياد والالتحاق بمعسكر الإمام وكان على رأسهم الصحابي الجليل حبيب بن مظاهر الأسدي ، وقسم لم يستطع الالتحاق بمعسكر الإمام فبقي أما في السجن أو منعزلاً أثر عدم المشاركة بالحرب وهؤلاء أغلبهم اشتركوا بثورتي التوابين والمختار الثقفي كتعبير عن ندمهم لعدم مساعدة الإمام في ثورته ، أما الجيش الذي قاتل الإمام الحسين وعدته أربعة ألاف فارس فهو جيش شُكّل أساساً بقيادة عمر بن سعد بن ابي وقاص ،لخوض معارك في الري كونه عُين واليا على الري وثغر دستي، لكن عبيد الله بن زياد غير وجهته إلى محاربة الإمام الحسين بدلاً من الذهاب إلى الري،(26) مما دعا بالكثير من عناصره إلى التهرب وعدم المشاركة ، وقادة الجيش هم :

1- يزيد بن معاوية – الخليفة .
2- عبيد الله بن زياد – والي الكوفة .
3- عمر بن سعد بن أبي وقاص – قائد الجيش المباشر .
4- الشمر بن ذي الجوشن – قائد ميداني .
5- الحصين بن نمير – قائد ميداني .

وهؤلاء هم أهم القادة المشرعون لقانون قتل الإمام الحسين وآل بيته وليس منهم عراقي ، أما العراقي والذي كان ضمن الجيش فهو الحر بن يزيد الرياحي ذلك البطل الذي قرر أن يحسم الأمر فوقف إلى جانب الإمام الحسين بقرار ذاتي نابع من أصالته ومبدئيته ، بدليل أن عشيرته التي كانت تسكن الكوفة جاءت وحملت جسده ودفنته في مكان لوحده تعبيراً عن اعتزازها به كقائد ترك أثراً عظيماً . أما الاتهام الموجه للعراقيين بقتل الإمام الحسين فهو اتهام باطل ولا صحة له كون العراقيين كل ما قاموا به ربما كان قسم منهم مجرد مقاتل في جيش بن زياد ، بعد أن تم حجز قادتهم كما أسلفت وبعض آخر تم ترويضه ليقف إلى جانب يزيد وهؤلاء أعدادهم قليلة جداً .

دخل العراق مرحلة أخرى من القوة والرعب والدكتاتورية المقيتة بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كلفه عبد الملك بن مروان بالقضاء على تمرد عبد الله بن الزبير وذلك عام 73 هـ 692م ، أولاً ثم منحه ولاية العراق كاملة ليأخذ على عاتقه ترويض أهل العراق .

فقد جاء في الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار المتوفى سنة (260 هـ) وهو واحد من أقرب المؤرخين لتلك الأحداث الدامية قوله : لما اشتدت شوكة أهل العراق وطال توثبهم بالولاة يحصبونهم (أي يضربونهم بالحصا) ، ويقصرون بهم . أراد عبد الملك تعيين وال شرس على العراق فبعث إلى الحجاج وسأله في حالة تعيينه والياً على العراق ما الذي أعده للعراقيين ، أجاب الحجاج قائلاً "ألبس جلد النمر ، ثم أخوض الغمرات ، وأتبع الهلكات ، فمن نازعني طلبته ، ومن لحقته قتلته بشدة ، وعجلٍ وريثٍ ، وترَّ وازورار، وطلاقة واكفهرار ، ورفق وجفاء ، وصلة وحرمان ، فإن استقاموا كنت لهم والياً حفياً ، وإن خالفوا لم أبق منهم طويّاً ، فهذا ما أعددت لهم يا أمير المؤمنين ، ولا عليك أن تجربني ، فإن كنت للطلى قطاعاً ، وللأرواح نزّاعاً ، وللأموال جمّاعاً ، وإلا فاستبدل بي ، فإن الرجال كثير"(27) ، فقال عبد الملك أنت لها.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا بأن سوء النية كانت قد سيطرت على تفكير كل من عبد الملك والحجاج في آن واحد بالتعامل مع العراقيين وكأن ولاية العراق تعني القضاء على الفكر السياسي العراقي الذي كان يشكل خطراً كبيراً على الدولة الأموية لذا كان لزاماً على الحجاج أن يكون طاغية ومجرماً كي يستطيع ترويض أهل العراق والحد من دعواتهم المناهضة للأمويين ، أما الاستماع لهم

ومعرفة طلباتهم ومحاولة التعامل معهم بإنسانية وأفق رحب ، فهذا ما لم يفكر به الحجاج أبداً ، وعند قدومه الى الكوفة تحدث في عدة مناسبات ومكانات واراد ان يوصل رسالة للناس على طغيانه وجبروته وعدم احترامه للناس منها قوله:" يأهل الكوفة إني لأرى رؤوسا أينعت وحان قطافها ، واني لصاحبها، وكأني أنظر الدماء بين العمائم واللحى(28).

استخدم الحجاج سياسة ارهابية عنيفة شحنها بمثلب جاء به من قريحته هو ،إذ بدأ خطبته مع العراقيين قائلاً :

"إن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه ، فعجم عيدانها ، فوجدني أمرّها سهماً ، وأشدَّها مكسراً ، فوجّهني إليكم ، ورماكم بي . يا أهل العراق ، ويا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق لأنكم طالما أضجعتم في منام الضلال وأوضعتم في أودية الفتنة، وسننتم سنن الغي . وأيم الله لألوحنكم لحو العود، ولأقرعنكم قرع المروءة، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غريبة الإبل . فاستوسقوا واعتدلوا ولا تميلوا، واسمعوا وأطيعوا ، وشايعوا وبايعوا"(29) .

وهنا أفاضت علينا قريحة الحجاج النابعة من فكر سياسي رديء، ورغبة جامحة في السطو ومصادرة أفكار الغير بخطاب سياسي مسجع أراد به أن يعبّر عن قدرته البلاغية بالتعبير عما في خلجاته من حقد على شعب العراق الذي كان قاعدة قوية للمعارضة السياسية ضد الأمويين، فقال قولته الشهيرة (يا أهل العراق يا أهل النفاق والشقاق) وكأنه أراد بها أن يضرب ضربته الأولى ليصف فكر العراقيين بالتردد وعدم الثبات والميلان باتجاه الطرف الأكثر قوة . معتقداً أنه يستطيع إحداث شرخ نفسي يلج من خلاله لتغيير أفكار الناس باتجاه الأمويين ، من خلال التعامل بلطف مع الذين يميلون إلى جانبه في الوقت الذي لا يمنعه أحد من ضرب عنق كل من لا يوافقه الرأي . ولذلك اسباب ،يقول الجاحظ معلقا على سلوكيات الحجاج مع أهل العرق" العلة في عصيان أهل العراق على الأمراء وطاعة أهل الشام، ان أهل العراق أهل نظر وذو فطن ثاقبة، ومع الفطنة والنظر يكون التنقيب والبحث ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح والترجيح بين الرجال، والتمييز بين الرؤساء، واظهار عيوب الأمراء، وأهل الشام ذوو بلادة وتقليد وجمود على رأي واحد لا يرون النظر ولا يسألون عن مغيّب الأحوال"(30) والموضوع هنا ليس موضوع شعب له خصائص وسمات معينة فقط، وانما هو أبعد من ذلك، اي ان الخلل ليس في الشعوب بل الحكام انفسهم هم من يؤثروا في الشارع بمجمل انجازاتهم ومكاسبهم وسلوكهم مع الرعية فالسلوك الحسن والاهتمام بالرعية واحترام ارادتها يعطي حالة ايجابية من التودد والمحبة بين الخليفة أو الوالي وجمهور الرعية، والعكس صحيح تماما، فقد جاء في العقد الفريد ،ان جامع المحاربي وقد كان شيخا صالحا خطيبا لبيبا ،قد دخل يوما على الحجاج واخذ الطرفين بالحديث فقام الحجاج يحدّث الشيخ المحاربي عن سوء طاعة اهل العراق له فقال له جامع : أما أنه لو أحبوك لأطاعوك على انهم ما شؤونك لنسبك ولا لبلدك، فدع عنك ما يبعدهم منك الى ما يقربهم اليك، والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك، فانزعج الحجاج من كلامه ولم يتفاعل معه، فقال له جامع ايها الأمير إن صدقناك أغضبناك وان غششنا ك أغضبنا الله، وغضب الامير أهون علينا من غضب الله تعالى(31) وهنا يظهر جليا ان الخلل في الحكام اكثر منه في الرعية، وقد تحدث المسعودي عن حالة الحجاج وساديته وحبه لسفك الدماء وقد ربط ذلك بواقعه الميداني منذ الولادة وتأثير ذلك الواقع على سلوكياته وعلاقته بالأخرين فيقول" كانت أم الحجاج عند الحارث بن كلدة فدخل عليها في السحر فوجدها تتخلل فبعث اليها بطلاقها، فقالت : لم بعثت اليَ بطلاقي؟ الشيء رابك مني ؟فقال: نعم، دخلت عليك عند السحر وأنت تتخللين، فأن كنت بادرت الغداء فأنت شرهة، وأن كنت بت والطعام بين أسنانك فأنت قذرة، فقالت : كل ذلك لم يكن، لكن تخللت من شظايا السواك، فتزوجها بعده يوسف بن أبي عقيل الثقفي أبو الحجاج، فولدت له الحجاج بن يوسف

مشوها لا دبر له، فثقب عن دبره، وابى أن يقبل ثدي أمه أو غيرها فأعياهم أمره، فيقال : أن الشيطان تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة فقال ما خبركم ؟ فقالوا: أبن ولد ليوسف من الفارعة، وكان أسمها وقد أبى أن يقبل ثدي أمه أو غيرها، فقال: أذبحوا جديا أسود وأولغوه دمه فاذا كان في اليوم الثاني فأفعلوا به كذلك فاذا كان في اليوم الثالث فأذبحوا له تيسا أسود وأولغوه دمه، ثم أذبحوا له أسود سالخا فأولغوه دمه وأطلوا به وجهه فأنه يقبل الثدي في اليوم الرابع، قال : ففعلوا به ذلك فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في بدء أمره، هذا وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن اكثر لذاته سفك الدماء، وأرتكاب أمور لا يقدم عليها غيره، ولا سبق اليها سواه"(32) والرواية اعلاه ان صحت وإن لم تصح فالوقائع الميدانية تؤكد دون اي شك ان الحجاج كان ظالما ومجرما وبعيدا كل البعد عن الانسانية والتعامل الرحب مع الرعية بالشكل الذي كرهه الناس. وعود على بدء ،فأن أصل القول (يا أهل العراق يا أهل النفاق والشقاق) أعلاه ، صادر عن طاغية مجرم لا يعرف للحوار طريقاً ، ولا لاحترام الآخرين هدفاً أو غاية فقد كان مجبولاً على الغدر والكراهية والعداء للإسلام ولرموزه العظام كرد فعل عن حالة النقص التي كان يشعر بها جراء مظهره القبيح. يقول السيوطي "واحدة من مساوئ عبد الملك بن مروان توليته الحجاج على المسلمين وعلى الصحابة رضي الله عنهم يهينهم ويذلهم قتلا وضربا وشتما وحبسا وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يحصى فضلا عن غيرهم وختم في عنق أنس بن مالك وغيره من الصحابة ختما يريد بذلك ذلهم فلا رحمة الله عليه، ولا عفا عنه".(33)

والحجاج الذي حكم العراق بعد أكثر من عقد ونصف من حكم زياد بن أبيه لم يكن يتمتع بذات المواصفات التي كان يتمتع بها بن زياد ، فزياد فضلاً عن طغيانه كان ذكياً وذا قدرة على التمييز فضلاً عن معرفة ودراية بالفروق الفردية بين الناس وإلى جانب هذا كله كان يتمتع بحظوة وأهمية لدى الخليفة الأموي على العكس تماماً من الحجاج الذي كان لا يعرف إلا لغة السيف فقد أساء التصرف مع الفقهاء والعلماء بنفس الطريقة التي أساء بها التصرف مع العامة من الناس ، وفضلاً عن هذا فقد كان لا يتمتع بأية حظوة أو قيمة لدى الخليفة رغم خدماته الكبيرة، فقد جاء في الأخبار الموفقيات أن الحجاج أساء للصحابي الجليل أنس بن مالك، فكتب الأخير إلى عبد الملك كتاباً يشكو فيه الحجاج ، يقول الزبير فغضب عبد الملك بن مروان من الحجاج وكتب له الكتاب التالي ."أما بعد : فإنك عبد قد طمت به الأمور، حتى عدوت طورك ، وأيم الله ، يا ابن المستفرمة ، بعجم الزبيب ، لقد هممت أن أضغمك ضغمة كبعض ضغمات الليوث الثعالب ، وأخبطك خبطة تود أنك زاحمت مخرجك من بطن أمك ، قد بلغني ما كان منك إلى أنس ، وأظنك أردت أن تخبر أمير المؤمنين ، فإن كان عنده غيره، وإلا مضيت قدماً ، فلعنة الله عليك ، أخفش العينين ، ممسوح الجاعرتين، حمس الساقين، كأنك نسيت مكاسب آبائك بالطائف، وما كانوا عليه من الدناءات واللؤم، إذ يحفرون الآبار في المناهل بأيديهم وينقلون الحجارة على ظهورهم ، فإذا أتاك كتابي فالق أنساً في منزله، واعتذر إليه ، ولولا أن أمير المؤمنين يظن أن الولد والكاتب كثّروا على الشيخ لقد بعث إليه من يسحبك ظهراً لبطنٍ، حتى يأتي بك أنساً يحكم فيك ، ولن يخفى على أمير المؤمنين نبؤك و(لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) فلا تخالف كتاب أمير المؤمنين، وأكرم أنساً وولده، وإلا بعثت إليك من يهتك سترك، ويشمت بك عدوك، والسلام"(34).

بقي أن ندرج للقارئ الكريم هنا رأياً للشيخ الحسن البصري (رض) قاله في حق الحجاج ليعلم القارئ مقدار غضب الصحابة والتابعين عليه ، فقد جاء في الموفقيات أيضاً (لما مات الحجاج قال الحسن :

"اللهم أنت أمتّه فاقطع عنا سنّته ، فإنه أتانا أُخيفش أُعيمش ، يمد بيد قصيرة البنان ، والله ما عرق فيها بنان في سبيل الله ، يرجّل جمته ، ويخطو في مشيته ، ويصعد المنبر فيهذر حتى تفوته الصلاة . لا من

الله يتقي ، ولا من الناس يستحي ، فوقه الله ، وتحته مائة ألف أو يزيدون . ألا يقول له قائل : الصلاة أيها الرجل . ثم يقول الحسن : هيهات والله حال دون ذلك السيف والسوط"(35) .

أما أبو حنيفة النعمان بن ثابت (رض) ، فقد كان له هو الآخر موقف بخصوص الموضوع، وذلك من خلال أسفاره الدائمة للمدينة ، إذ كان أحد تلامذة الإمام الصادق –عليه السلام- ، وقد كان لدى أهل المدينة ذات التصور السابق بأن العراق بلد النفاق ، وعندما كان أبو حنيفة يقرأ شيئا من سورة التوبة ، وعندما وصل إلى الآية الكريمة التي تقول : (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) ، قرأها على الشكل التالي (ومن أهل العراق مردوا على النفاق لا تعلمهم ..... إلى آخر السورة فصاح به الجالسون قائلين ليس هكذا بل الأية تقول ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ، وهنا أجابهم أبا حنيفة بذكائه المعهود ، أنكم تقولون أهل العراق مردوا على النفاق ، والله يقول ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ، فأيهما المنافق إذاً ؟

وأخيراً لا بد من التوقف عند مسألة اخرى ذات علاقة بالموضوع وهي أن الشام كانت مركزا للقرار السياسي العربي الإسلامي في تلك الفترة ، أما العراق فكان مركزاً فكرياً مهماً ومدرسة كبيرة من المدارس الإسلامية التي أنجبت العلماء والفقهاء والمؤمنين العظام مما جعل العلاقة بين الطرفين لم تكن على ما يرام للاختلاف بالتفكير والوسيلة والتعامل مع الرعية بين من يبحث عن الدنيا وبهجتها وبين من يبحث عن الآخرة وجناتها . وهذا واحداً من دواعي إشاعة مثالب العراقيين في تلك الفترة والأسباب دائماً سياسية .

بعد اتمام ما تم ذكره أعلاه بوقوفنا عند أهم مفاصل أولى حلقات التاريخ الاسلامي في العراق، حيث شخص الباحث باعتماده على مصادر التاريخ الرئيسة أهم النقاط التي جعلت من عملية التسقيط السياسي دافعا لإلصاق التهم بالسلوك الجمعي العراقي ، ونعته بما يمكن لهم من خلاله التقليل من أهمية ذلك السلوك، لتسهيل عملية السيطرة عليه من ناحية، ولابعاده عن التفكير بما يؤدي به الى العمل على اسقاط السلطة الأموية سواء بشكل مباشر او بالتعاون مع اي جهة تعمل على اسقاط تلك السلطة من ناحية ثانية، وبناء على ذلك لقد تم تفنيد كل تلك الاراء التي كان لها كما اسلفت رغبتها بتسقيط الفكر العراقي من خلال ذمه على لسان واحد من أهم الخلفاء الراشدين ومن اكثر الصحابة التصاقا بالرسول المصطفى محمد بن عبد الله (صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) وهو الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الذي أتخذ من الكوفة عاصمة لحكمه وللمدة من 36_ 40 هـ وبناء على كل ما جاء في متن البحث، فقد تم تلخيصه بما يأتي :

أولا : مقولة يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوء الأخلاق لم تصدر عن الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، بل هي مقولة الحجاج بن يوسف الثقي حين ولي العراق من قبل الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان(65هـ .....86هـ) ،وبالنظر للسلوك المشين الذي اتبعه الحجاج مع رعيته شعب العراق ونتيجة للسيرة غير الحسنة التي اتصف بها الحجاج وعليه لابد لنا هنا أن نستحضر قول الشاعر المتنبي حين قال

وإذا أتتك مذمتي من ناقص .. فهي الشهادة لي بأني كامل

ثانيا: لم يكن أهل العراق هم من قتل الامام الحسين (عليه السلام) بل قتلته الدولة الاموية بنهجها وفكرها ورجالها وفسادها ،وارادت بذلك ان تخلوا لها الاجواء لمواصلة السير قدما دون ضوابط، ومن ثم القضاء التدريجي على قيم ومبادئ الدين الاسلامي الحنيف

ثالثا: الدولة الاموية التي أجهضت على الفكر الاسلامي النير بقتلها للامام الحسين بن علي (عليه السلام) ، كانت تريد بذلك ان تخلوا لها الأجواء للسير قدما على نهجها الخاص الذي يتنافر مع المباديء الحقيقية للدين الأسلامي ،ومن هنا كانت العودة غير المحمودة للعصبية القبلية قد جاءت على ايدي خلفاء الدولة الأموية وهذا الفعل كان يتناقض كليا مع مباديء الدين الأسلامي التي حولت الولاء للدين الاسلامي بدلا من الولاء للقبيلة

رابعا: أرادت الدولة الاموية ومن خلال المؤرخين الذين أيدوا سياستها بقصد او بدون قصد، ان توصل رسالة للآخرين من ان الفكر السياسي العراقي الذي كان مناوئا لها ، وقد اخذ على عاتقه معارضتها ومحاربتها لسنوات طويلة من حكمها الذي استمر من عام 41 هـ وانتهى عام 132هـ على يد العباسيين، من انه فكر متقلب وغير مستقر وبعيد عن المبدئية والثبات، الغرض من ذلك تشويه صورة المعارضة العراقية التي وقفت كما اشرنا ضد سياستها التعسفية

خامسا: اثبتت الوقائع الميدانية والاحداث السياسية السابقة واللاحقة ومن خلال الروايات التاريخية من ان الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) قد استاء فعلا من سلوكيات جنده الذين كان جُلهم من اهل الحجاز وليس من اهل العراق، لكنه مع ذلك لم يقل الجملة اعلاه ولم ينعت اهل العراق بالشقاق والنفاق ابدا، فضلا عن ذاك فانه كان من الذين لهم موقف إيجابي من العراق حيث نقل مقر الخلافة من المدينة المنورة الى الكوفة، مقولة العراق بلد المال والرجال المنسوبة للامام والمنقولة لدى الدينوري في الاخبار الطوال، وابن قتيبة في الامامة والسياسة ،خير دليل على رؤية الامام الايجابية للعراق والعراقيين .

الهوامش

1- ينظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت، 310 هـ)تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج4، مصر، دار المعارف، 1967م، ص 435، وأيضا إبن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، (ت ،276هـ)، الأمامة والسياسة، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني، دار الأند لس، النجف الأشرف، ص 52

2- اليعقوبي، أحمد بن أسحاق،(ت ،292هجرية) تاريخ اليعقوبي، تحقيق خليل المنصور، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت 2002م، ص 126، وأنظر أبن قتيبة، المصدر السابق، ص 70-71

3- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، (ت، 279 هجرية)، فتوح البلدان، راجعه وعلق عليه ، رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م، ص 242

4- الطبري، المصدر السابق، ج 4، ص 579

5- أبن خياط، خليفة، (ت، 240 هجرية) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم العمري، ج1، مطبعة الأداب، النجف 1967، ص 98

6- اليعقوبي، المصدر السابق، ج1، ص 112

7- حسين، طه، الفتنة الكبرى، عثمان، ط 9، دار المعارف بمصر، 1976، ص 93

8- أبن قتيبة، المصدر السابق، ص 35

9- اليعقوبي، المصدر السابق، ج 1، ص 114

10- إبن سعد، محمد، (ت 230هجرية)، الطبقات الكبرى، ج 3، دار صادر، بيروت، ص 64

- ويقصد بذلك المصرين الكوفة والبصرة، حيث كانتا تسمى العراقيين .

11- أبن قتيبة، المصدر السابق، ص 51، (يروي الدينوري في الاخبار الطوال قائلا : ولما هم علي رضي الله عنه بالمسير الى العراق، أجتمع اشراف الأنصار فأقبلوا حتى دخلوا على علي فتكلم عقبة بن عامر وكان بدريا فقال (يا أمير المؤمنين إن الذي يفوتك من الصلاة في مسجد

رسول الله صلى الله عليه وسلم والسعي بين قبره ومنبره أعظم مما ترجوا من العراق فإن كنت إنما تسير لحرب الشام فقد أقام عمر فينا وكفاه سعد زحف القادسية وأبو موسى زحف الأهواز وليس من هؤلاء رجل إلا ومثله معك والرجال أشباه والأيام دول) فقال علي (إن الأموال والرجال في العراق ولأهل الشام وثبة أحب أن أكون قريبا منها) ونادى في الناس بالمسير فخرج وخرج معه الناس .) الدينوري، أبي حنيفة أحمد بن داوود الدينوري، (ت 282هجرية)، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر وآخرون، المكتبة الحيدرية، قم، 1379هجرية، ص143 وايضا....المسعودي علي بن الحسين،(ت 346 هجرية) مروج الذهب ومعادن الجوهر، عنيَ بتدقيقها وتصحيحها شارل بلا، ط1، ج3، المكتبة الكاثولوكية، بيروت، 1970م ص 113

12- ابن قتيبة، المصدر السابق، ص51
13- فاطر، الآية 18
14- الدينوري، المصدر السابق، ص151
15- أبن أبي الحديد، عبد الحميد المدائني، (ت، 656هجرية) شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، المركز الثقافي اللبناني) ص 212
16- الدينوري، المصدر السابق، ص 152
17- ابن عبد ربه الاندلسي، شهاب الدين احمد،(ت،328هـ) العقد الفريد، تقديم شرف الدين خليل، ج2، ط1، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1986م، ص 94
18- المسعودي، المصدر السابق، ص 158، الدينوري، المصدر السابق ص211
19- الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر، (ت، 255هجرية) البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوبي، ج 2، المكتبة التجارية، مصر، 1926، ص53
20- الدينوري، المصدر السابق، ج2، ص212
21- الجاحظ، المصدر السابق، ج2، ص 59
22- المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص206
23- الجاحظ، المصدر السابق، ص 58
24- أبن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي كرم، (ت 630هـ) الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، مج 3، دار الكتب العلمية، بيروت، ص368 .
25- المسعودي، علي بن الحسين، (ت، 346هـ) التنبيه والأشراف، دار التراث، بيروت، 1968م، ص 262، وايضا اليعقوبي، المصدر السابق،ج2، ص172.
26- الدينوري، المصدر السابق، ص253.
27- إبن بكار، الزبير بن بكار،(ت،256هـ)، الأخبار الموفقيات، تحقيق د سامي مكي العاني، مطبعة العاني ، بغداد، ص96.
28- المُبرد، أبي العباس محمد بن يزيد،(ت،285) الكامل في اللغة والأدب، تحقيق الدكتور يحيى مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة 2004م، ص291.
29- المصدر نفسه .
30- بن بكار، المصدر السابق، ص 96، وينظر ايضا:
أ- اليعقوبي ، المصدر السابق، ص191،
ب-الجاحظ ، المصدر السابق، ص111
ت- الطبري، المصدر السابق ج 3، ص1197
ث-المسعودي، المصدر السابق،332

ح-ابن عبد ربه، المصدر السابق،ج3، ص276
خ-ابن ابي الحديد، المصدر السابق، ج1، ص290
30 – بن ابي الحديد ، المصدر السابق، ج1، ص290
31 -ابن عبد ربه الأندلسي، المصدر السابق،ج1، ص255
32 -المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص329
33 – السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن،(ت،911هـ) تاريخ الخلفاء، تحقيق رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار ،القاهرة، 2004م،ص250
34 بن بكار ، المصدر السابق، ص330
35 – نفسه، ص104

Sources and references
The Holy Quran
1. Ibn Abi Al-Hadid, Abdul Hamid Al-Madani, (d, 656 Hegira) explain the rhetoric approach, the realization of Mohammed Abul Fadl Ibrahim, the Lebanese Cultural Center) p 212
2. Ibn al-Atheer, Abu Hassan Ali bin Abi Karam, (d 630 e) full in history, the achievement of Abu al-Fida Abdullah judge, House of scientific books, Beirut, p 368
3. Ibn Bakkar, Zubair bin Bakkar, (d, 256 e), news conciliators, the realization of Dr. Sami Makki Ani, Ani Printing Press, Baghdad.
4. Ibn Khayyat, Khalifa, (d, 240 Hijri) History of Khalifa bin Khayat, Achievement Akram Omari, c 1, Literature Press, Najaf 1967.
5. Ibn Saad, Mohammed, (d. 230 H), major classes, Dar Sader, Beirut, p. 64
6. Ibn Abed Rabbo Al-Andalusi, Shihab Al-Din Ahmed, (d, 328 e) unique contract, the introduction of Sharaf al-Din Khalil, I 1, publications House and Library Crescent, Beirut, 1986
7. Ibn Qutaiba, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim, (d, 276 e), Imamate and politics, the realization of Dr. Taha Mohammed Zaini, Dar and Andalus, Najaf Ashraf
8. Al-Balatri, Abu Al-Hassan Ahmed Bin Yahya Bin Jaber, (d, 279 Hijri), Fattouh Al-Balad, reviewed and commented on, Radwan Mohammed Radwan, Scientific Books House, Beirut, 1978
9. Al-Jahez, Abu Othman Amr ibn Bahr, (c. 255 Hijri) Statement and Explanation, Achievement of Hassan Al-Sindoubi, Commercial Library, Egypt, 1926
10.Hussein, Taha, the great strife, Osman, I 9, Dar al-Maarif, Egypt, 1976
11.Dinuri, Abu Hanifa Ahmed bin Dawood Dinuri, (d 282 Hijri), sleepless news, the realization of Abdel Moneim Amer et al., Library of Haidariya, Qom, 1379 AH

12.Suyuti, Jalal al-Din bin Abdul Rahman, (d, 911 e) History of the caliphs, the achievement of Radwan Mosque Radwan, Mukhtar Foundation, Cairo, 2004
13.Tabari, Abu Jaafar Mohammed bin Jarir, (d, 310 e) the history of the apostles and kings, the realization of Mohammed Abu Fadl Ibrahim, Egypt, Dar al-Maaref, 1967 AD
14.Coolant, Abu Abbas Mohammed bin Yazid, (d, 285) full in language and literature, the realization of Dr. Yahya Murad, Foundation Mukhtar for publication and distribution, Cairo 2004
15.Al-Masoudi Ali Bin Al-Hussein, (d 346 Hijri)
A - promoter of gold and minerals of the essence, I mean by checking and corrected Charles Bla, i 1, c 3, Catholic Library, Beirut, 1970.
B - Alert and supervision, House of Heritage, Beirut, 1968.
16.Yacoubi, Ahmed Ben Ishaq, (d, 292 Hijri) History of Yacoubi, the realization of Khalil Mansour, Scientific Books House, Beirut 2002

السلوك الجمعي في المجتمع العراقي (36هـ.656م.....132هـ....750م)
وتداعيات الخطاب السياسي عبر التاريخ

ا.م.د. علي فرعون علوان

Collective behavior in Iraqi society
(36 AH.656 m ..... 132 AH 750 m)
The implications of political discourse throughout history

Asst.prof.d.Ali Faroun Alwan
College of Basic Education /University of Wasit

ABSTRACT

The collective behavior of the Iraqi society has been exposed to what can be called the conspiracy. The Umayyad treated the society with caution and hatred at the same time, resulting in the attachment of some of the charges for the purpose of its political and social settlement. It represents the opposition to Umayyad authority and the environment that is the incubator of the opposition movements. The revolution of Imam Hussein bin Ali (peace be upon him) and up to the revolution of Zaid bin Ali through the movements of Musab bin Zubayr and Mokhtar al-Thaqafi and the revolution of Abdul Rahman bin al-Ash'ath and others, all of which was the Iraqi environment is incubator. The Umayyads tried to attribute this to Imam Ali Ibn Abi Talib (peace be upon him), and everyone knows the value and importance of Imam Ali being One of the great men of Islam and this statement wanted the Umayyads to convey the message that the people of Iraq are the people of division and hypocrisy and speech to Imam Ali bin Abi Talib, and this means that the speech carries credibility and accuracy, a lot, if not all credibility at all, History and stand on the above statement, and who said it، And it turned out that the saying is the brainchild of the governor, Hajjaj bin Yusuf al-Thaqafi and the governor of Iraq appointed by the Umayyad caliph Abdul Malik bin Marwan after the first managed to control the rebellion of Abdullah ibn al-Zubayr in Mecca in 73 AH, Vkavah and eye on Iraq, With the Iraqis in the way he sees fit, and so began his first engagement with the Iraqis, and he takes up his new political position, addressing the Iraqis in Kufa, saying (O people of Iraq, the people of division, hypocrisy and the disadvantages of ethics) and thus became the above statement resonant and influential added the Umayyad another taste when they attributed later Imam Ali bin Abi Tal (Peace be upon him) to resonate among the people in general to reduce the Iraqi opposition to the Umayyads, and the reasons are always political.

Asst.prof.d.Ali Faroun Alwan
E-mail d.ali1957d@yahoo.com
Mobile 07730357157
Specialization ... Islamic History